(المتنبي)

المتنبّي هو: أبو الطيب؛ أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفيّ. ولد بالكوفة، ونشأ بالشَّام، كان شاعرًا حكيمًا، وفد على سيف الدّولة فمدحه ونال عطاياه، ثم إلى كافور؛ ثم رحل إلى العراق وبلاد فارس. له ديوان شعر. وتميز شعره بالأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، قتله فاتك الأسدي سنة 354 هـ.

فارق أبو الطيب سيف الدولة، ورحل إلى دمشق، وكاتبه كافور بالمسير إليه، فلما ورد مصر أخلى له كافور دارًا وخلع عليه وحمل إليه آلافًا من الدراهم، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة 346هـ:

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا.....وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا[١]

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى.....صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا[٢]

إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ.....فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا[٣]

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ.....وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ الْمَذَاكِيَا[٤]

فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى.....وَلَا تُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا[٥]

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى.....وَقَدْ كَانَ غَدَّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا[٦]

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ.....فَلَسْتَ فُؤَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا[٧]

شرح الأبيات:

(١) كفى بك: معناه كفاك. والأماني: جمع أمنية، الشيء الذي تتمناه، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة، يقول — مخاطبًا نفسه: كفاك داء رؤيتك الموت شافيًا، أي إذا أفضت بك الحال إلى أن تتمنى المنية — الموت — فذلك غاية الشدة، وإن داء شفاؤه الموت أقسى الأدواء، والمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية، وفاقرة الخطوب، والمعنى: كفاك من أذية الزمان ما تتمنى معه الموت.

(٢) تمنيتها: أي المنايا. وأعياه الأمر: أعجزه. والمداجي: المداري الساتر للعداوة، واشتقاقه من الدجى: أي الظلمة. يقول: تمنيت المنية — الموت — لما حاولت الظفر بصديق مصافٍ فأعجزك أو عدو مداجٍ فلم تظفر به، وعند عدم الصديق المصافي والعدو المداجي يتمنى المرء المنية؛ لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء.

(٣) استعده: حاول أن يتخذه عدة له. والحسام: السيف القاطع. واليماني: المنسوب إلى اليمن. يقول — مخاطبًا نفسه: إنما يتخذ السيف ليرفع به الذل. فإذا رضيت أن تعيش ذليلًا فما تصنع بالسيف اليماني تعده؟

(٤) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد. والعتاق: الخيل الكريمة. والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذيلًا؛ لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٥) الطوى: الجوع، وتتقي: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكد يصبر عنه، وقد ضرب المثل بالأسد، يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجدِ حياؤه وبقي جائعًا غير مهيب، وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريًا مفترسًا حريصًا على الصيد.

(٦) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول لقلبه: أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا — يعرض بسيف الدولة — وقد كان غدارًا فلا تغدر به أنت، أي لا تكن مشتاقًا إليه ولا محبًّا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي.

(٧) البين: البعد. وأشكيت فلانًا: إذا فعلت به فعلًا يحوجه إلى الشكوى، وأشكيته أيضًا: إذا أعتبته وأزلت شكواه، فهو من الأضداد، والمراد هنا الأول. يقول لقلبه: اعلم أنك تشكو فراقه لإلفك إياه. ثم هدد قلبه قائلا: إن شكوت فراقه تبرأت منك.